أكثر ولا أقلّ .

أتهيج العاصفة من تلقائها ، أم امتثالاً لنظام طبيعي يجعل من النسيم ريحاً هاصرة ؟ وليت شعري لو جعلنا للأشجار في الغاب أرواحاً وأعطيناها ألسنةً فخطّت لذواتها نظاماً وقطعت على ذواتها ميثاقاً بأن تعيش في سكينة وسلام أما كانت تدعو العاصفة فوضى ؟

ولو دخلنا جوف الأرض وأعطينا ما هناك من الدفائن أرواحاً وألسنة أما تراها كانت تحسب هياج البركان فوضى ؟ غير أن العاصفة والبركان لا يخرجان عن النظام الشامل . بل هما ضمنه .

أمّا بلاء الناس ففي اعتقادهم أنهم فوق النظام الشامل . وأن الكون رهن أنظمتهم لا هم رهن نظامه . لذلك يسنّون الشرائع واهمين أنها أثبت من الشمس والقمر . وإذ تهبّ عليها عاصفة منهم وفيهم يصيحون في الحال بأعلى أصواتهم : « الفوضى . الفوضى » ناسين أن ما يدعونه « فوضى » ليس إلا مظهراً من مظاهر نظام ينفّذ ذاته فيهم وهم غافلون عنه أو متغافلون .

ليس من شريعة بشريّة إلاّ تداس في اليوم القصير ألوف المرّات من ألوف الرجال والنساء . إن لم يكن علانية فسرّاً . أو بالفعل فبالفكر . ولا يعاقب منهم أحد إلاّ الذين يقعون